الفصل الثامن

... منظمات صغيرة .

* ثمة طيور تبقى صغيرة
مهما تقدم بها العمـــر .
حكمة صينية قديمة

سوف نتكلم الآن عن منظمتين دفعه واحدة ..

ليس لأن كل منهما كانت أصغر من ان نفرد لها فصلا مستقلا . ولا لأن ما هو متاح من مواد ومعلومات عن كل منهما هو أقل من القليل .. وانما لانهما تشابهتا فى أشياء كثيرة ..

صغر الحجم واستمراره كذلك بحيث أصبح سمة تاريخية ـ التمرد على التيار العام ـ وأيضا انهما اتحدتا معا ثم انفصلتا .

وحدة الشيوعيين ، طليعة الشعب الديمقراطية .

الأولى تنظيم قديم نسبيا انشق عن حدتو فى بدايات ثورة يوليو معربا عن احتجاج مجموعة من شباب المنظمة على سياسة تأييد ثورة يوليو ..

ويقول الكثيرون من قيادات حدتو فى ذلك الحين أن هذا الانشقاق انصب أساسا فى أحد أقسام « رابطة الطلبة الشيوعيين (حدتو) » . وهى الجناح الطلابى للمنظمة وانه تكون أساسا من عدد محدود من الطلاب (ابراهيم فتحى ـ اسعد البنا ـ بهجت النادى) كلية الطب « احمد فرج ، محمد مستجير مصطفى (كلية الحقوق) .. الخ ..) »(١) .

.. بينما يؤكد ابراهيم فتحى عكس ذلك .. فيقول ان هذا ليس صحيحا .. و « أن حالة التمرد كانت قد شملت أقساما واسعة من حدتو طلاب ، عمال ، موظفين ، وأن تيار التمرد الرافض لتحليل حدتو لحركة الجيش توافق مع جماعات أخرى من الشيوعيين غير المنظمين والرافضين لكل المنظمات القائمة ، وكانت هناك عناصر من م . ش . م وعناصر تركت الراية رفضا لسياسة قيادتها .. وقد تجمع هؤلاء فى بادىء الامر فى تيار سياسى غير منظم ، ثم تكونت وحدة الشيوعيين من الكثيرين من بين هؤلاء جميعا »(٢) .

لماذا اذن ظهر الطلاب صغار السن كقيادة للمنظمة ؟

---

(١) مقبل ـ المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع ابراهيم فتحى ـ أجريت المقابلة بالقاهرة فى ١٩٨٦/٣/٢٩

ولماذا بدت امام الجميع بهذا الحجم المتناهى فى الصغر ؟

يقول ابراهيم فتحى « عندما بدأنا نحدد شكلنا التنظيمى ، انتهجنا فكره ايجاد منظمة صغيرة تظهر للتعامل مع الاحداث ومع الشيوعيين الآخرين ، ومنظمة اخرى تنتهج اسلوب الامان المطلق »(٣) ٠

ويرد البعض على ذلك ٠٠ قائلين اذا كان هذا القول صحيحا لكان قد استبان منه شيئا ما ، أو شخصا ما ، أو انعكاسا ما ، أو نشاطا ما ٠٠ ذلك انه بالامكان اخفاء كادر سرى لمدة طويلة ٠٠ ولكن ماذا بعد اخفائه ؟

ماذا فعل ؟ وكيف تفاعل مع الاحداث ؟ بل أين هو الآن ؟

على اية حال لعل من حق صاحب القول ان نثبته له ٠٠ وان نقرر له ان قد ضرب مثلا بأحد الكوادر :

« كان ابراهيم عامر معنا ضمن الكادر السرى ، ثم بعد فترة طلب العمل فى الجناح الظاهر ولهذا ظهر ٠٠ وقبض عليه بعد ذلك »(٤) ٠

بل ان ابراهيم فتحى يؤكد ان هذه الحيلة قد تكررت وانه عندما تصاعدت حملات القبض أشاعت وحده الشيوعيين انها تطبق شعار « سحب الكادر من تحت نيران العدو » ويقرر « انها كانت مجرد اشاعة لاخفاء وجود التنظيم » ويقول « وأعلنا ان اللجنة المركزية قد تركزت سلطاتها فى شخص واحد ٠٠ هو أنا » ٠

على اية حال ٠٠ انها افكار ـ حتى وان كانت قد نفذت فعلا ـ تليق بمنظمة صغيرة فما من حزب له وجود جماهيرى ، وفعل حقيقى يمكنه ان يرفع ـ ولو ظاهريا ـ شعار « سحب الكادر من تحت نيران العدو » لانه يكون بذلك قد تخلى ـ ولو ظاهريا ـ عن وظيفته وكيانه ٠ وما من حزب له وجود فعلى يمكنه ان يعلن للكادر ان اللجنة المركزية قد تجسدت فى شخص ٠٠

٠٠ المهم ان وحده الشيوعيين تبدو أمامنا منظمة صغيرة تميزت بأطروحاتها اليسارية ، وتميزت بالكثير من القصص والقصص المضادة حول حجمها الحقيقى ٠٠ وحقيقة نفوذها ٠٠

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

ويقرر ابراهيم فتحى « ان المنظمة كانت موجودة وفاعلة وكان لها نفوذ فى العديد من النقابات ·· وانها اسهمت فى لجنة الوحدة خارج السجن عام ١٩٥٤ وأنها لعبت دورا جماهيريا وسط الطلاب » ·

·· ولكن البحث الدقيق يتطلب شواهد تثبت ذلك ·

فماذا عن المنظمة الاخرى ؟

كل من صحبنا عبر الاجزاء السابقة من دراستنا يعرف فوزى جرجس كواحد من الشيوعيين القدامى فى مطلع الاربعينيات ويعرف انه انقسم عن حدتو وأسس « العصبة الماركسية » · ويعرف ايضا ان اسمه قد ارتبط بمنظمة اخرى هى « نواه الحزب الشيوعى المصرى » ·

فلما اتحدت النواة ضمن الموحد ·· كان فوزى جرجس معترضا على مبدأ الوحدة مع حدتو ·· وما أن خرج من المعتقل حتى انشق وأسس منظمة جديدة أسماها « طليعة الشعب الديمقراطية » ·

يقول مهدى الحسينى « كانت طليعة الشعب الديمقراطية مجرد تكوين جنينى ·· ولم تكن مقومات التنظيم الشيوعى قد اكتملت لها بالكامل ، كانت تضم مجموعة من الكادر يجمعه لمن حيث المبدأ الخلاف مع حدتو ·· وتحديدا الخلاف حول تحليل حدتو لحركة ٢٣ يوليو ·· ولا تجد ما يوحدها بخلاف ذلك » ·

ويورد مهدى الحسينى قائمة بما يعتقد انه مجمل الكادر الاساسى للمنظمة تضم حوالى خمسة عشر اسما فقط منها « ـ مهدى الحسينى ـ محسن الخياط ـ رمسيس لبيب ـ محمود ماجد ـ ونجاتى عزب »(٥) ·

ويقول البكباشى حسن المصيلحى فى شهادته امام النيابة العامة « برزت منظمة طليعة الشعب الديمقراطية فى عام ١٩٥٧ ·· وكانت سياستها مختلفة عن باقى المنظمات اذ لم يكن أعضاؤها يوافقون على سياسة تأييد الحكومة . وقالوا ان هذا التأييد قد أخرج الشيوعيين عن نطاق الصراع الطبقى والمبادىء الماركسية »(٦) ·

وقد أورد حسن المصيلحى امام النيابة حصرا بالنشرات التى اصدرتها كلا المنظمتين الصغيرتين فقال ان منظمة « وحدة الشيوعيين » قد أصدرت طوال

---

(٥) محضر تفاهم مع مهدى الحسينى ـ اجرته الباحثة بالقاهرة فى ١٩٨٦/١٠/١٦

(٦) ملف التحقيق فى قضية النواة لسنة ١٩٥٩ ـ شهادة حسن المصيلحى امام النيابة العامة ·

عامى ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ خمس نشرات فقط ٠٠ أورد تواريخها حصرا أمام النيابة ٠

ولعل شهادة حسن المصيلحى تستحق هى الاخرى بعض التأمل حول طبيعة وحجم منظمة وحدة الشيوعيين ٠

ثم قدم للنيابة كشفا من صحيفتين بعنوان : نشرات طليعة الشعب الديمقراطية وبه بيان بالنشرات وتاريخ صدورها وبيانات عن كل منها ، وقد بدات هذه النشرات منذ ابرايل ١٩٥٧ وحتى ٢ ـ ٣ ـ ١٩٥٨ وهذه النشرة الاخيرة صدرت مشتركة بين منظمتى طليعة الشعب الديمقراطية ووحدة الشيوعيين »(٧) ٠

٠٠ ونعود الى مسيرة المنظمتيين ٠٠

يقول مهدى الحسينى « كان فوزى جرجس هو الاوضح فكريا فى مجموعة طليعة الشعب الديمقراطية ، وقد نجح فى أن يجمع حوله فى المعتقل ٥٤ ـ ١٩٥٦ مجموعة من الكادر وقد اختلف فوزى جرجس حول أسس وحدة الموحد ، وحول تمثيل النواه فى قيادة الموحد (نلاحظ ان النواه لم تقدمه ضمن ممثليها فى اللجنة المركزية للموحد رغم انه مؤسس المنظمة والأب الروحي لها ـ المؤلف) ٠

وكان يرى أن الوحدة قد تمت بتعجل شديد ، ولم تكن تعكس توحيدا للكادر ، وانما مجرد تنسيق ومناقشات علوية بين بعض القيادات أو كما أسماها تواطؤ بين قيادات المنظمات ٠ وكان يرى انه من الضرورى وقبل الوحدة ـ أن يتم اتفاق واضح على أسس سياسية وتنظيمية (برنامج ـ خط استراتيجى ـ لائحه) يقرها مؤتمر منتخب ليس على اساس التمثيل النسبى وانما على أساس التساوى بين المنظمات كبيرها وصغيرها ٠ وكان يرى ان التعجل فى اعلان وحده الموحد أمر مشبوه ومريب لأن الهدف منه هو تجميع كمى لأكبر عدد من الشيوعيين لتأييد عبد الناصر بلا قيد ولا شرط ٠٠ وبعد الخروج من المعتقل كان التنظيم مجرد جنين سواء من الناحية السياسية أو التنظيمية ، وكان الامر يتطلب بعضا من الوقت كى ينهض العمل التنظيمى وكى يتقدم العمل السياسى على أساس من المعطيات الواقعية الجددة ٠٠ ثم تمت وحده عاجلة « ومريبة » مع منظمة وحده الشيوعيين انتهت بأن وأدت فترة النضج الضرورية » ٠

٠٠ كيف تمت هذه الوحدة ؟

---

(٧) المرجع السـابق ص ٢١٥ .

هناك اجابتان .

يقول ابراهيم فتحى « لم تكن هناك وحدة بالمعنى المفهوم . لم أكن أنا مقتنعا بالوحدة ولم أكن أريدها حفاظا على سرية النواة الداخلية للتنظيم ، ولم يكن فوزى جرجس يريدها هو ايضا ، ولكن كان هناك ضغط شديد من القواعد عندنا وعندهم ، ومن خارجنا ، وخاصة بعد وحدة يناير ١٩٥٨ .. وكان لابد لنا من التجاوب ولو شكليا مع هذا الضغط الجارف ، فتظاهر كل منا بقبول الوحدة وأعلنا تأسيس منظمة جديدة أسميناها الطليعة الشيوعية ، وربما اتفقنا على شيء واحد هو اصدار مجلة مشتركة « صوت الشعب » ومجلة داخلية مشتركة هى « التنظيم الشيوعى » .. وعندما انفضت الوحدة سريعا كنا سعداء بذلك لاننا تخلصنا بذلك من قصة الوحدة »(٨) .

لكن ابراهيم فتحى ورغم ذلك .. وفى غير اتساق مع هذه الفكرة يقرر :

« ان ثمة لجنة قيادية تشكلت لتمثل القيادة الجديدة للطليعة الشيوعية ..

« من وحدة الشيوعيين ابراهيم فتحى ـ أحمد فرج ـ محمود ندا ـ وفلاح من قرية طناح اسمه الشحات ومن منظمة طليعة الشعب الديمقراطية فوزى جرجس ـ محمود المناسترلى ـ شعبان حافظ ـ حمدى حمدان ـ حسنى تمام » .

بل ويقرر هو أيضا أن منطقة القاهرة الموحدة بين المنظمتين قد اجتمعت مرة واحدة لتنقسم على الفور ..

لكن مهدى الحسينى يقول رواية اخرى « .. تحركت وحدة الشيوعيين فى حركة ضغط على طليعة الشعب الديمقراطية للمطالبة بالوحدة معها ، وكان هناك ضغط داخلى يتزعمه محمود المناسترلى .. وكان الحديث يتصاعد عن ضرورة توحد المعادين لخط حدتو اليمينى ، ولكن ما ان قبلنا الوحدة ، وقدمنا لهم اسماء الاعضاء ومرشحينا للقيادة واتفقنا على مقوماتها حتى هرب ابراهيم فتحى منها كما يهرب العريس ليلة الزفاف والاكثر من هذا اننا فوجئنا بأن أسرار التنظيم وحجمه الحقيقى واسماء اعضائه جميعا محل ثرثرة على المقاهى »(٩) .

---

(٨) فتحى ـ المرجع السابق .

(٩) الحسينى ـ المرجع السابق .

وتورط فوزى جرجس فى الوضع الجديد وظل متمسكا باسم الطليعة الشيوعية ..

وقبل أن ننتقل لنتابع المواقف السياسية لهذا التجمع الصغير نتوقف لنلاحظ امرين :

اولهما : ان ثمة نشره صادرة عن السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى خاصة بدوره اجتماعات الاسبوع الاخير من اكتوبر ١٩٥٨ وتتضمن هذه **النشرة** فقرة تقول « وحدة الشيوعيين : ناقشت السكرتارية المركزية الطلب الذى تقدم به اعضاء وحدة الشيوعيين للانضمام الى الحزب .. »(١٠) .. وبرغم أن صياغة الفقرة تقول ان الطلب تقدم به **أعضاء** (وليس منظمة) وحده الشيوعيين ، **للانضمام** (وليس للاتحاد) الى الحزب .. فان ابراهيم فتحى يجيب على سؤالنا حول هذا الامر قائلا « تمت بنا اتصالات تقول هل لديكم مانع من الوحدة مع الحزب وأجبنا ليس لدينا مانع فى السعى لكى يسود خطنا فى الوحدة ، وهو قيام وحده على أسس مبدئية » .

والفارق شاسع بين الامرين ..

ثم ملاحظة أخيرة هىأن الامر انتهى باثنين من قادة وحدة الشيوعيين وهما ابراهيم فتحى وابراهيم عامر للانضمام الى جماعة حدتو فى السجن .. وظلا عضوين حتى نهاية فترة الاعتقال فى أبريل ١٩٦٤ ..

* * *

والان لنحاول قدر الامكان متابعة ما يمكن متابعته من المواقف السياسيةلـ نظمة « الطليعة الشيوعية »

فى ١٥ مايو ١٩٥٨ .. « بيان من الطليعة الشيوعية » ونقرأ فيه .. « تلاحقت الاحداث تلاحقا سريعا .. حيث برزت وتأكدت قدرة المعسكر الاشتراكى كنظام ثابت يزداد فى كل يوم رسوخا ، مما هيأ لابراز التناقضات بين الرأسمالية المصرية الكبيرة وبين الاستعمار العالمى . تلك المتناقضات التى ظلت تختفى حينا وتشتعل أحيانا الى المرحلة التى يتحتم فيها أن تحل هذه المتناقضات . ولكن الرأسمالية المصرية الكبير ظلت تؤجل هذا

---

(١٠) ملف التحقيق ٣ حصر أمن دولة لسنة ١٩٥٩ ــ محضر اطلاع النيابة على مضبوطات ابراهيم فتحى سليمان ــ وقد وصفت النشرة فى محضر الاطلاع بانها نشرة صادرة عن السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى مؤرخة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٨ ــ خاصة بدوره الاسبوع الأخير من أكتوبر ١٩٥٨ ص ٢١١ من الملف .

الحل حتى ضربت تنظيمات الجماهير الشعبية وأبعدتها بذلك عن ميدان المعركة » ٠

وتصف الوحدة التى تمت بين الشيوعيين قائلة أن البرجوازية المصرية الكبيرة « وحدتهم فأصبحت لهم قيادة موحدة تعلق بها الانتهازيون وكشفوا عن وجوههم كعملاء للبرجوازية ومنفذين لخططها ، وان أسموا أنفسهم الحزب الشيوعى المصرى مما استوجب التقاء الاتجاهات الثورية مع بعضها فدارت مناقشات بين طليعة الشعب الديمقراطية ووحدة الشيوعيين ، وتمت الوحدة بينهما ، تلك الوحدة التى تسعى للالتقاء بالعناصر الشريفة التى لا تزال تخضع لقيادة الانتهازيين ، وذلك حتى يمكن القضاء على القيادة الانتهازية وتصفية تيارها السياسى وتقاليدها التنظيمية العفنة التى لا علاقة لها بالماركسية اللينينية ٠٠ »

ودعا البيان أعضاء التنظيم الجديد « الى أن يبنوا تنظيمهم الجديد على أساس ثابت من المركزية الديمقراطية وأن يعمقوا مفاهيم كل الرفاق فى الحركة الشيوعية عن ماهية الديمقراطية البلشفية وأن يحسنوا الربط بين العمل العلنى والعمل السرى ، ويعيدوا تربية الرفاق على قواعد الامان والصرامة البلشفية فى التمسك بها ، وتخليصهم من كل ميوعة طبعتهم بها الانتهازية ، ويعيدوا تربية أنفسهم على أسس شيوعية ، وأن يرسوا تقاليدهم الثورية » (١١)

ونحن نطالع هذه الكلمات ٠٠ علينا فقط أن نعود الى رواية ابراهيم فتحى عن أن الوحدة كانت مجرد مسرحية أعدها الطرفان المتحدان وانهما سعدا أيما سعادة بانتهائها نهاية سريعة ٠٠ أو الى رواية مهدى الحسينى الذى ينسب المسرحية الى طرف واحد ٠٠ علينا أن نعود الى قراءة هذه الاقوال ٠٠ لنتعرف على معنى الكلمات التى تصاغ فى بيانات هذه المنظمة ٠٠ وما تحمل فى جوهرها من مضمون حقيقى ٠ ولنعرف ماذا تعنى كلمات تموج بالثورية بينا تخلو فى واقع الامر من أى رنين ٠

٠٠ ثم نشره « صوت الشعب » وتعلق على زيارة عبد الناصر للاتحاد السوفييتى فتؤكد أن قادة السوفييت يستقبلون عبد الناصر وهم يعلمون جيدا « أن الحكومة المصرية هى حكومة كبار الرأسماليين المصريين الذين يعادون الشيوعية بحكم طبيعتهم الطبقية ولكنها حكومة تعادى الاستعمار »

---

(١١) منشور معنون « بيان من الطليعة الشيوعية » مكتوب بالآلة الكاتبة ومطبوع على الرونيو مؤرخ فى ١٩٥٨/٥/١٥ ٠

وفى مقـال آخر تعلق النشرة على تصريح لحسن عبـاس زكى وزير الخزانة قال فيه أن الرخـاء قـد بدأ فتقول « هنـاك رخاء حقـا ، ولكنه رخاء للرأسماليين فقط ولاصحاب المصانع والبنوك وكبـار التجار وكبار ملاك العقـارات فحسب » ٠

ووصفت النشرة الاتحاد القومى بأنه « حـزب حكومة الرأسماليين ، الحزب الهزيل الذى لا يستطيع أن يقف على قدميه بدون حمـاية الادارة والحكومة »(١٢)

أما للعدد الثانى من «صوت الشعب» ، فيتضمن مقالا بعنوان « كيف وصل ديجول الى الحكم » ومقتطفـات من الصحافة الشيوعية العالمية ومقال بعنوان « حـول السياسة الاقتصادية للحكومة » تضمن ردا على تصريح للدكتور عبد المنعم القيسونى ٠٠ ثم مقـال بعنوان « حول الاتحاد القومى حزب كبـار الرأسماليين » يقول « من الواضح تماما أن الحكومة القـائمة تمثل طبقـة معينة هى طبقـة كبـار الرأسماليين المصريين ، واذن فـان سيطرة الحكومة على هذا الاتحـاد يعنى أنه حزب هذه الطبقة » ٠

٠٠ ثم دعت النشرة الجماهير « الى النضال ضـد القرار الجمهورى الخاص باخضاع النقابات لسيطرة الاتحاد القومى أى حزب الرأسـماليين وأصحاب الاعمـال ، وربط هذا النضال بنضال الشعب كله بطبقـاته الكادحة من أجل الديمقراطية ، والاهتداء فى هذا النضال بقيـادة الطبقـة العـاملة السياسية الحكيمة ممثلة فى الطليعة الشيوعية » (١٣)

٠٠ ونكتفى بهـذا ٠

---

(١٢) « صوت الشعب » منبر الطليعة الشيوعية ــ العدد الأول ــ السـنة الأولى ــ ٢٦ مايو ١٩٥٨ وهى عبارة عن نشرة من ثمانى صفحات فولسكاب مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ــ وقد ورد فى صدر صفحاتها الأولى انها العدد الاول الصادر بعد وحدة منظمتى طليعة الشعب الديمقراطية ووحدة الشيوعيين (نسخة أصلية) .

(١٣) صوت الشعب ــ العدد الثانى ــ النصف الأول من يونيو ١٩٥٨ ــ مسحرة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ــ محضر التحقيق ٣ حصر أمن الدولة لسـنة ١٩٥٨ محضر اطلاع النيابة على ما قدمه البكباشى حسن المصيلحى من نشرات ص ٢٥٢ .